باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته و الصلاة و السلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين و على آله و صحبه أجمعين.أما بعد:

فمعاشر الفضلاء نواصل شرحنا لكتاب التوحيد للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله عز وجل. و لا شك أيها الإخوة أن وقوفنا على هذا الكتاب و فهمنا لما فيه يدلنا دلالة واضحة بينة على أن هذا الشيخ أعني محمد بن عبد الوهاب كان من الأئمة المتبعين و العلماء الناصحين، فما جاء بشيء جديد و لا جاء بمنكر و إنما قرب للأمة ما في كتاب ربها و ما في سنة نبيها ﷺ مما يتعلق بأهم أمورها و أعظم أمورها و هو التوحيد و لا شك أن المنصف الذي يخاف الله عز وجل و يتجرد للحق، إذا سمع ما في هذا الكتاب، علم يقينا أن ما فيه هو الحق الذي يجب على كل مسلم أن يتبعه و يحرم على المسلم أن يخالفه. و نحن بحمد الله كنا قد فرقنا من الباب الذي عقده الشيخ في باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد و سده كل طريق يوصل إلى الشرك و نواصل اليوم من حيث وقفنا، فيتفضل الشيخ ياسين وفقه الله عز وجل يقرأ لنا:

الحمدلله الصلاة و السلام الأتمان الأكملان على خير خلق الله و على آله و صحبه و من والاه.

أما بعد: فيقول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عليه في كتاب التوحيد:

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

نعم لما تقدم بيان صور من الشرك الظاهر التي تقع من أقوام ممن ينتسبون إلى الإسلام و تقدمت البراهين على أنها شرك و تقدم بيان السبب الأعظم لوقوع الشرك،كأن قائلا قال: إن هذا إنما هو في الأمم السابقة و أما في أمة محمد ﷺ فلا يقع، وهذه شبهة منعت كثيرا ممن ينتسبون إلى الإسلام من الانتفاع بالنصوص الواردة، في التحذير من الشرك.

و نجد أن بعض من ينتسبون إلى الإسلام يقعون في الشرك: فينذرون للقبور، أو يستغيثون بها، أو غير ذلك من الصور التي تقدمت، و مع ذلك يقولون: إن الشرك لا يقع في أمة محمد ﷺ، فكانت هذه الشبهة غشاوة، أعمت بعض من ينتسبون إلى الإسلام عن النصوص الواضحة الصريحة في التحذير من الشرك و خدرت بعض المسلمين حتى أصبحوا يقعون في الشرك و هم آمنون لهذه الشبهة، فعقد الشيخ رحمه الله عز وجل هذا الباب ليبين أن بعض هذه الأمة يقعون في الشرك و ذلك نصحا للأمة، و قد أقام

الشيخ الأدلة على هذا، و هناك أدلة أخرى لم يذكرها الشيخ تدل دلالة بينة على أن الشرك سيقع في هذه الأمة ومنها:حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«لا تقوم الساعة حتى تضطرب أَلَيَات نساء دوس على ذي الخَلَصَة». متفق عليه.

و ذو الخلصة: طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية.

و جاء عند مسلم:«كانت صنما تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة ».

لاحظوا يا إخوة أن راوي الحديث هو أبو هريرة رضي الله عنه.

و أبو هريرة رضي الله عنه دوسي من قبيلة دوس و دوس كانت قد أسلمت بدعوة رسول الله ﷺ، حيث قال النبي ﷺ:«اللهم اهد دوسا و ائت بهم»

فأسلمت دوس و لكن النبي ﷺ أخبر بهذا الخبر الذي يقع في آخر الزمان:«لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات».

أليات: جمع إلية أي عُجُز النساء ،قال بعض أهل العلم : هذا يدل على أنهن يركبن الدواب للوصول إلى ذي الخلصة، أي يأتين من بعيد و هذا معنى اضطراب أليَاتهن أنها تضطرب فوق الدواب.

و قال بعض أهل العلم: لا هذا يدل على شدة الزحام، أنهن يزدحمن على هذا الصنم و العياذ بالله على ذي الخلصة أي أنهم يعبدونه وذو الخلصة:صنم بتبالة و **تبالة**: قرية بعد الطائف إلى جهة اليمن، فهي من الجزيرة.إذن سيقع بعض هذه الأمة في الشرك و في جزيرة العرب.

أيضا مما يدل على ذلك يا إخوة: أحاديث الدجال، فإن الأحاديث الكثيرة الواردة في الدجال، دلت على أن من هذه الأمة من سيؤمن بالدجال و سيصدق بالدجال و هذا كفر ،بل من أهل المدينة من سيخرج إلى الدجال،الدجال إذا جاء إلى المدينة،يمنع من دخولها تمنعه الملائكة و ينزل بالجرف، فيخرج إليه بعض أهل المدينة، جموع من المدينة يخرجون و يؤمنون بالدجال.

و هذا يدلك يا عبد الله دلالة واضحة يقينية: على أن من أمة محمد ﷺ من يقع في الكفر و منهم من يقع في الشرك أي أنهم يفارقون الإسلام، كما يدلك لذلك صنيع العلماء، فإنه ما من كتاب معتمد في الفقه إلا و فيه باب أو كتاب عن الردة و أحكام المرتدين، فلو كانت الردة لا تقع في الأمة، لماذا يضع الفقهاء كتابا حول أحكام الردة؟ !فإن قال لنا قائل: هذا الذي قررتموه معارض بحديث صحيح، ألا و هو حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:«إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب و لكن في التحريش بينهم » رواه مسلم في الصحيح .

إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، قالوا فدل هذا على أن الشرك لا يقع في الأمة، قلنا أولا الدليل أضيق من المدلول، الدعوة أوسع من الدليل لأن الدليل يا إخوة يتعلق بماذا؟ بجزيرة العرب. و الدعوة تتعلق: بالمسلمين في كل مكان ،و لا شك أيها الإخوة أن هذا الحديث لا يدل على أن الشرك لا يقع في أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

فالجواب عن هذا الحديث من وجوه:

١/ الوجه الأول: أن هذا الحديث فيه خبر عن إبليس، أنه يئس أن يعبده المصلون، أي أن ذلك في ظن إبليس: لما رأى قوة التوحيد في جزيرة العرب و صلابة الصحابة في دينهم، لما رأى ذلك و ظن أن الناس سيستمرون على ذلك و إبليس لا يعلم الغيب، يئس أن يعبده أولئك المصلون، و يأس إبليس لا يلزم منه الوقوع لأنه لا يعلم الغيب ،يئس بناء على ما رأى، بل حتى أنبياء الله يأسهم لا يلزم منه الوقوع، كما قال الله عز و جل: {حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءهم نصرنا} فالرسل استيأسوا، يأسوا فجاءهم نصر الله، على أي حال كان المراد بالرسل هنا، فاليأس لا يلزم منه الوقوع، فيأس إبليس لا يلزم منه أنه لن يعبد أحد الأصنام في جزيرة العرب و هذا أمر ظاهر لم يخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا سيكون و لكن أخبر عن يأس إبليس، **لكن هنا فائدة عظيمة يا إخوة و هي:** أن نجاة الناس إنما هي في قوة التوحيد و قوة تمسكهم بالدين، لأن إبليس لما رأى قوة توحيد الصحابة و صلابتهم في دينهم، يئس من أن يعبد. إذن إذا أردنا القوة للأمة ماذا نفعل؟ ندعوها إلى التوحيد، ونحثها على التمسك بالسنة و على حسن عبادة الله سبحانه و تعالى.

٢/ و الوجه الثاني:

أن المقصود بالحديث: أن الشرك لا يقع من جميع الأمة، و لا شك بحمد الله أن الشرك لا يقع من جميع الأمة بل ستبقى طائفة على التوحيد و السنة و الحق منصورة، فيكون المقصود بالمصلين: جميع المصلين.

٣/ و الوجه الثالث:

أن هنا ((**أل**)): للعهد و المقصود بهم الصحابة لأن المعهودين في ذلك الزمان هم الصحابة، فالشيطان أيس أن يعبده أحد من الصحابة رضوان الله عليهم.

فهذا يدلك يا عبد الله على أن هذا الحديث لا يدل على أن الشرك لن يقع في أمة محمد صلى الله عليه و سلم. أيضا يدلنا على عدم عموم الحديث الواقع، فهناك من ادعى النبوة و اتبعه بعض الناس وارتدوا:

كأبي الأسود، و مسيلمة، و سجاح، و تبعهم بعض الناس و ارتدوا عن دينهم، فدل ذلك على أن الحديث ليس عاما في نفي عبادة الأوثان عن أمة محمد ﷺ.

قال:«باب ما جاء أن بعض »:

بعض: ما قال أن هذه الأمة لأن الأمة بمجموعها محفوظة من الشرك :أن تكون الأمة كلها مشركة هذا لا يقع و إنما سيقع الشرك من بعضها.

أن بعض هذه الأمة: ليدلك على أن المقصود أمة الإجابة و ليست أمة الدعوة، الأمة القريبة و هي أمة الإجابة لأن النبي ﷺ له أمتان:

١/ **أمة الدعوة:** و هم كل من وجد بعد بعثة النبي ﷺ من الإنس و الجن، كلهم أمة دعوة.

٢/ **و أمة الإجابة:** وهم من استجابوا إلى النبي ﷺ، فشهدوا أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله.

يعبد الأوثان: و قد تقدم معنا أن الأوثان جمع وثن و هو كل ما يعبد من دون الله سواء كان على صورة أو لم يكن على صورة.

و قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطّاغُوتِ}:

يقول الله عز و جل لنبيه ﷺ:**ألم تر:** و هذا الاستفهام للتقرير و التعجيب، يعني أنه أمر عجيب، هذا الذي صدر منهم.

«**ألم تر**» :

١/ قال بعض أهل العلم، ترى هنا، رؤية بصرية، لأن ترى لا تعدى بإلى إلا إذا كانت رؤية بصرية، يعني ألم تر ببصرك.

٢/ و قال بعض أهل العلم: بل هي رؤية بالقلب و العلم،يعني ألم تر بقلبك و علمك لأن النبي ﷺ ما رأى هذا ببصره، هذا إذا قلنا إن الآية خاصة بمن نزلت فيه و هو كعب بن الأشرف، فإن هذا وقع في مكة و لم يره النبي ﷺ ببصره و يكون عُدي بإلى هنا لأنه نزل في اليقين منزلة البصر، يعني أنه متيقن من ذلك كما أنه رآه ببصره.

و إذا قلنا أن هذه الآية في عموم اليهود، فإن من اليهود من كان في المدينة و كان النبي صلى الله عليه و سلم يراهم، فيكون معنى: **ترى** البصرية، و قد يراد **الأمران**:،فيكون رأى ذلك من اليهود :رآهم ببصره، و رأى بعلمه و قلبه بالخبر الذي بلغه من الله عز و جل و هو يقين.

«**ألم تر** » يا محمد ،«**إلى الذين أوتوا نصيبا**»: أي أعطوا حظا من الكتاب. «**يؤمنون**» أي: يصدقون.

«**بالجبت و الطاغوت**»:

١/ قال بعض السلف:

الجبت و الطاغوت :صنمان كانا يعبدان من دون الله، صنم يقال له الجبت و صنم يقال له الطاغوت.

٢/ و قال بعض أهل العلم:

الجبت :الصنم. **و الطاغوت:** رجال يعبرون عن الأصنام، فينقلون بزعمهم إلى الناس ما يريده الأصنام، فيقول :الصنم يقول لكم كذا: اذبحوا بدنة، اذبحوا بقرة، هذا الذي عبر عنه به بعض السلف بقولهم: إن الطاغوت مترجمو الأصنام يعني الذين يزعمون أنهم يتكلمون بلسان الأصنام ينقلون للناس، ما يريده الأصنام.

٣/ و قال بعض السلف:

الجبت هو: السحر، **و الطاغوت هو** :الشيطان

٤/ و قال بعض أهل العلم:

الجبت هو: الساحر، **و الطاغوت هو**: الكاهن.

وهذه كلها يا إخوة من اختلاف التنوع لأنها تفسير بالمثال، و لذلك قال الطبري رحمه الله عز وجل، قال ابن جرير في تفسيره: الجبت و الطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له، كائنا ما كان ذلك من حجر أو إنسان أو شيطان.

يقول الجبت و الطاغوت: اسمان لكل ما يعظم بعبادة من دون الله أو طاعة له من دون الله أو خضوع له ،أيا كان ذلك المعظم سواء كان حجرا، أو بشرا، أو شيطانا. و يشمل كل ما تقدم ذكر السلف له.

و تقدم معنا يا إخوة أن الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، و تكلمنا هناك من الذي يسمى طاغوتا و بينا أن هذا له اعتباران:

١/ **باعتبار الذات و الحقيقة:** و هذا لا يجوز أن يطلق على من لا برض بعبادته من دون الله كعيسى عليه السلام و الملائكة عليهم السلام و عزير و غيرهم.

٢/ **و الاعتبار الآخر: باعتبار المعبودين التابعين:** ،فهذا يسمى طاغوتا بمعنى أنه قد اتخذ "بضم الألف" طاغوتا و إن كان الأدب ألا يطلق عليه طاغوت هكذا مباشرة و إنما يقول اتخذه الجهال طاغوتا، اتخذه المشركون طاغوتا، هذا من الأدب.

و علاقة هذه الآية بالباب من ثلاثة وجوه:

١/ الوجه الأول:

أن الآية دلت على أن بعض أهل الكتاب يشركون و دل الحديث القادم إن شاء الله على أن من الأمة من سيتبع أهل الكتاب فيفعل ما يفعلون، فما دام أن بعض أهل الكتاب يشركون، فإن بعض هذه الأمة سيشركون لأنهم يتبعون أهل الكتاب. هذا الوجه الأول.

٢/ و الوجه الثاني:

أن الآية دلت على أن العلم لا يعصم الإنسان من الوقوع في الشرك، لأن الله عز و جل قال: ((**أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطّاغُوتِ**))

إذن عندهم علم و مع ذلك لم يعصمهم من الوقوع في الشرك، فكأنا نقول لمن يقول: إن الشرك لا يقع في أمة محمد ﷺ نقول له: لماذا تقول هذا؟ يقول لأن العلم موجود ،القرآن موجود و السنة موجودة و الله حفظهما. فنقول له :إن وجود العلم موجود لا يمنع من وقوع الشرك و إن كان يقلل منه و لا شك، لكن نجد يا إخوة بعض الدكاترة، الآن في الواقع، بعض الدكاترة في الشريعة، قد يبلغ أعلى مرتبة و يسمى أستاذا في الجامعة و يقرر للناس النذور للقبور و الاستغاثة بغير الله، فالعلم لا يمنع من الوقوع في الشرك.

٣/ الوجه الثالث:

أن بعثة النبي ﷺ لا تمنع من الوقوع في الشرك بعده لماذا؟لأن هؤلاء اليهود بعث لهم موسى عليه السلام و قد بين لهم غاية البيان و مع ذلك أشركوا بعده.فكذلك بعثة نبينا ﷺ لا تمنع من وقوع الشرك في أمته من بعده، فانسد الباب، بعبارة أخرى كأنا قلنا لمن يقول لنا: إن الشرك لن يقع في هذه الأمة أبدا و أن من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله لا يرتد أبدا ،كأنا نقول له: لماذا يكون ذلك؟لماذا لا يقع من قال أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله في الشرك؟ هل ذلك من أجل العلم ؟

فإن قال نعم ،قلنا: إن العلم لا يمنع من الوقوع في الشرك، كما في الآية.

أو كان ذلك لأن النبي ﷺ بعث و بين،

فإن قال نعم،قلنا: إن بعثة موسى عليه السلام و قد بعث و بين و لا نشك في ذلك، لم تمنع اليهود من الوقوع في الشرك بعده.

فدلت هذه الآية بالوجوه الثلاثة على أن من أمة محمد ﷺ من قد يقع في الشرك و العياذ بالله.

و قولـــــه تعـــــالى :{قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِوَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَوَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطّاغُوتَ}:

يقول الله عز و جل لنبيه ﷺ:قل للمستهزئين بكم، المسفهين دينكم و هم من اليهود،**{هل أنبئكم بشرّ من ذلك مثوبة}**)أي :جزاء عند الله عز وجل.

{من لعنه الله}: و اليهود قد لعنهم الله عز وجل.

{و غضب عليه}: و تقدم معنا أن الغضب صفة لربنا سبحانه و تعالى على ما يليق بجلال ربنا سبحانه و تعالى. و الله قد غضب على اليهود.

{وجعل منهم القردة}: أي مسخ بعضهم قردة و هذا مسخ حقيقي ،فحوّل الله صورة بعضهم إلى صورة القردة. و لا يعني هذا يا إخوة أن القردة هم أولئك الممسوخون، لا. القردة كانت موجودة قبلهم ثم مسخوا على صورتها و من مسخ لا يكون له نسل يموت و ينقطع ،فالمسخ له خاصة، يمسخ هو، ثم يموت.

{و الخنازير}:فالله مسخ بعض اليهود على صورة الخنازير و ذلك لقبح صنيعهم و عجّل الله لهم المهانة في الدنيا قبل الآخرة،نعوذ بالله من الهوان.

{و عبد الطاغوت}:أي و من عبد الطاغوت،و هذا يدل على أن من اليهود من أشركوا و هذا المراد.

و علاقة الآية بالباب: هي نفس علاقة الآية الأولى بالباب.

وقوله:{قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا}

نعم هذه الآية كما تقدم معنا في قصة أصحاب الكهف، الفتية الذين آمنوا و آووا إلى الكهف، لما اطلع عليهم قومهم:**{قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا}**

من هم هؤلاء؟ تقدم معنا:

١/**قال بعض أهل العلم هم المشركون** لأنهم هم الذين من عادتهم أنهم يبنون المساجد على القبور كما تقدم معنا في حديث أم سلمة و حبيبة.

٢/و قال بعض أهل العلم: هم من المسلمين لكنهم ليسوا أنبياء.

٣/ و قال بعض أهل العلم هم الحكام أهل القوة و هذا ظاهر الآية و تقدم معنا أنه لا حجة في فعلهم **{قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا}**:

١/ ((**عليهم**)): قال بعض المفسرين يعني على قبورهم، لتخذن على قبورهم مسجدا، و هذا وجه الدلالة هنا، أن من عادة الأمم السابقة: اتخاذ القبور مساجد.

و هذا كما تقدم معنا من كبائر الذنوب و قد يكون من الشرك الأصغر ما لم يعبدوهم، فإن عبدوهم أصبح شركا أكبر.

٢/ **و قال بعض أهل العلم معنى**:((**لنتخذن عليهم**)) يعني: لنتخذن على الكهف مسجدا ، يعني لنجعلن مكانهم الذي كانوا فيه مسجدا و ليس على قبورهم.

٣/**وقال بعض أهل العلم**: لنتخذن عليهم أي بجوارهم مسجدا، لماذا؟

قالوا ظنوا أنهم عادوا إلى النوم كما كانوا ،فقالوا لنبنيّ لهم مسجدا بجوارهم إذا استيقظوا من نومهم صلوا فيه و هذا أحد التفاسير و لكن **أظهر التفاسير الأول**:((**لنتخذن عليهم**)): على قبورهم، ((**مسجدا**)): و تقدم بيان أنه لا حجة في هذا بل هذا من الضلال الذي حكاه الله عن تلك الأمة، من ضلالهم أنهم قالوا:((**لنتخذن عليهم مسجدا**))،و المقصود أن هذا كان موجود في الأمم السابقة و الأمم سيتبع بعضها الأمم السابقة، فاتخاذ المساجد من هذا الباب.

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:« لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه،قالوا يا رسول الله اليهود و النصارى ؟، قال : فمن؟ » أخرجاه.

نعم الشيخ رحمه الله تبع في ذكر لفظ الحديث شيخ الإسلام فذكره كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله و إلا فإنا لم نجد هذا الحديث بتمام لفظه في شيء من كتب السنن، لم نجد هذا الحديث بتمام لفظه،معناه موجود في الصحيحن،لكن هذا الحديث بتمام لفظه لم نجده في شيء من كتب السنن و إنما جاء **في صحيح البخاري**:«**أن النبي ﷺ قال: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا**

بشبر و ذراعا بذراع،حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم،قلنا يا رسول الله:اليهود و النصارى،قال:فمن» و لفظ مسلم:«لتتبعن سَنن الذين من قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموه،قلنا يا رسول الله:اليهود و النصارى،قال:فمن ».

إذن معنى الحديث موجود في الصحيحين لكن تمام هذا اللفظ المذكور هنا ليس موجودا في الصحيحين و لا في شيء من كتب السنة،نعم ورد بمعنى قريب منه في قول ما روي:«**أن رسول الله ﷺ قال:ليُحملنّ شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم من أهل الكتاب حذو القذة بالقذة.**

: هذا جاء عند الإمام أحمد في المسند لكن إسناده ضعيف و صححه بعض أهل العلم بشواهده.

نشرح الحديث على اللفظ الذي ذكره الشيخ:

أولا،قال: عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:((**لتتبعن**)):

و هذا الخطاب للأمة و هو خطاب عام يراد به الخصوص لأن الأمة كلها لن تتبع اليهود و النصارى و إنما بعض الأمة سيتبعون اليهود و النصارى، و إلا فهناك الطائفة المنصورة و الفرقة الناجية لا تتبع اليهود و النصارى.

((**لتتبعن سنن من كان قبلكم**))**سنن** ((**بفتح السين**)): يعني طريق،يا إخوة سنن ((**بفتح السين**)):مفرد بمعنى طريق و ضبط بضم السين((**سُنن**)) فتكون جمع سنة أي طرق،فإذا قلنا سنن فهو مفرد بمعنى طريق و أفرد لأنه سواء في الشر، طريق شر، مهما تنوعت الصور فهو طريق شر، و إذا قلنا((**سنن**)):فهي طرق و معنى ذلك أن بعض الأمة قد يتبع اليهود في كذا و بعضها قد يتبع اليهود في شيء آخر و هكذا.

(**القذة**) يا إخوة: ريش السهم و كانوا قديما يضعون في السهم ثلاث ريش و يشترط لها أن تكون متساوية تماما لماذا؟ لأن هذه الريش تضبط السهم إذا انطلق، تصبح كأنها جناح له فلا يميل يمينا و لا يسارا حتى يصل إلى مرماه و يشترطون فيها أن تكون متساوية حتى لا يختل السهم، قالوا لو نقصت هذه عن هذه و لو بمقدار قليل يختل السهم، إذن ماذا كانوا يفعلون بالريش؟ يأخذون الريشة و يأتون بريشة ثانية و يوازنونها بها حتى تكون مثلها تماما ثم يأتون بالثالثة و هذا مثل يضرب للتساوي، تقول سرت حذو قلب فلان حذو القذة بالقذة، كما يقولون في التعبيرات اليوم كأنك صورة منه **و المقصود:** شدة الإتباع حتى لو دخلوا جحر، و الجحر هو الغار،((**ضب**)):الضب معروف الدابة المعروفة الزاحفة،و جحر الضب يتصف بصفتين:

١/أنه ضيق

٢/و أنه كثير التعرج.

و المقصود:أنه لو كان اتباعهم صعبا لاتبعتموهم،لا يمكن لإنسان أن يدخل في جحر ضب ،اليد بصعوبة تدخل في جحر الضب،لكن حتى و لو دخلوا،فرضنا أنهم دخلوا جحر ضب لدخلتموه،و هذا يدل على شدة الإتباع.

((**قالوا**)):و لم يعين القائل،((**يا رسول الله:اليهود و النصارى**)) **يصح النصب**:أن تقول اليهود بفتح الدال و النصارى :يعني : تعني اليهودَ و النصارى؟ فيصح النصب.

و يصح الرفع:((**اليهود بضم الدال و النصارى**)):يعني يا رسول الله هم اليهود و النصارى؟

فقال ﷺ:((**فمن**)):و المقصود يا إخوة اتباع اليهود و النصارى في المعاصي و ما يتعلق بالدين من بدع و شركيات و قد جاء في حديث قريب من هذا عند البخاري:((**أن النبي** ﷺ **قيل له يا رسول الله كفارس و الروم،قال فمن الناس إذن؟**)) هنا قال اليهود و النصارى

و في حديث عند البخاري قريب من هذا في المعنى، ((**قالوا يا رسول الله كفارس و الروم،قال فمن الناس إذن**)) ففسرها بأنه فارس و الروم.

قال العلماء المقصود ((**كفارس و الروم**)): فيما يتعلق بالحكم و السياسة.

((**و اليهود و النصارى**)) :فيما يتعلق بالديانة.

و وجه الدلالة من الحديث ظاهرة: أن النبي ﷺ أخبرنا في هذا الحديث الصحيح ،أن بعض هذه الأمة سيتبعون أهل الكتاب، اليهود و النصارى في كل شيء، و جاء عند الشافعي بسند قال عنه ابن حجر صحيح في حلوه و مره،يعني تقلدون اليهود و النصارى في الحلو و المر و ثبت بالأدلة أن بعض أهل الكتاب يشركون و يؤمنون بالجبت و الطاغوت و هم بعد بعثة النبي ﷺ كفار،إذا لم يؤمنوا به،فدل ذلك على أن بعض أمة محمد ﷺ سيشركون لأنهم يتّبعون أهل الكتاب في كل شيء و هذا يا إخوة فيه تحذير شديد من موافقة أهل الكتاب فيما ظهر أنه حلو من أفعالهم أو كان مرا،يعني يا إخوة لا يجوز لنا أن نتشبه بأهل الكتاب.

و لمسلم عن ثوبان رضي الله عنه ،أن رسول الله ﷺ **قال:«إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها و إن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها و أعطيت**

الكنزين الأحمر و الأبيض و إني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة و أن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم،فيستبيح بيضتهم. و إن ربي قال:يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد و إني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة و أن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم،فيستبيح بيضتهم و لو اجتمع عليهم من بأقطارها ،حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ،و يسبي بعضهم بعضا»:

نعم هذا الحديث الصحيح في صحيح مسلم حديث عظيم فيه بشارات للأمة و تحذير لها.

عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:((إن الله زوى لي الأرض)):

و قلنا إن معنى((**زوى**)): جمع وقبض، أي أن الله عز وجل جمع الأرض لنبيه ﷺ

قال:((فرأيت)): ولم يأت دليل على نوع هذه الرؤية : هل هي رؤية بالعين الباصرة في اليقظة،فيكون الله عز وجل جمع الأرض و طوى أطرافها للنبي ﷺ،حتى أصبح النبي ﷺ ينظر إلى مشارقها و مغاربها بعينيه في اليقظة،هذا محتمل و الله على كل شيء قدير سبحانه و تعالى؟

أو أنه رأى ذلك في المنام فأراه الله الأرض،فرأى مشارقها و مغاربها في المنام،و رؤيا الأنبياء حق،لا كذب فيها و لا تخليط و لا خطأ فيها.

الحديث محتمل للأمرين، و لم يأت دليل يعين أحد الاحتمالين.

قال:((فرأيت مشارق الأرض و مغاربها)):

قال العلماء:أي رأيت جميع مشارقها و جميع مغاربها، فجميع نواحي الشرق من الأرض قد رآها النبي ﷺ و جميع نواحي الأرض من الغرب قد رآها النبي ﷺ، قال العلماء: و لم يذكر شمالها و جنوبها و في هذا إشارة إلى أن فتوحات المسلمين و ملك المسلمين سيمتد في الشرق و الغرب أكثر منه في الشمال و الجنوب و هذا الواقع.

و قال العلماء: إن في هذا دليلا أن الإسلام سيدخل جميع المشارق و سيدخل جميع المغارب، فما من جزء في المشرق إلا و سيدخله الإسلام و ما من جزء في الغرب و المغارب إلا سيدخله الإسلام لأن النبي ﷺ قال:((**و إن أمتي**)) :أي أمة الإجابة،((**سيبلغ ملكها ما زوي** -بفتح حرف الزاي و فتح حرف الواو- أو **زوي** -بضم حرف الزاي و كسر حرف الواو-، ضبطت الكلمة بالضبطين، ما زوى -بفتح الزاي و الواو-:أي ما زوى الله لي.

و ما زوي -بضم حرف الزاي و كسر حرف الواو -: ظاهر.

ما زوى أو ما زوي لي منها، و هذا يجعلنا نقطع بأن الإسلام سيصل جميع المشارق و سيصل جميع المغارب، منها ما وصله فعلا و منها ما سيصله يقينا و قطعا و الله غالب على أمره.

قال:«و أعطيت الكنزين الأحمر و الأبيض»: يعني أعطيت لأمتي((**الذهب و الفضة**)): فالأحمر هو:الذهب. و الأبيض هو:الفضة.

و في هذا بشارة للأمة في ذاك الوقت أنهم سيستولون على ماك كسرى وقيصر **و ذلك أن الغالب على أموال الفرس**: كانت الدنانير و هي من الذهب. **والغالب على أموال الروم**: كانت الدراهم و هي من الفضة .

و المقصود أن الأمة : ستفتح فارس و الروم و سيغلب فارس و الروم من أمة محمد ﷺ و قد وقع هذا في زمن عمر رضي الله عنه

قال ﷺ:«و إني سألت ربي لأمتي»:

دعا الله عز وجل لأمته أن لا يهلكها بسنة بعامة: و قلت لكم في بعض نسخ كتاب **التوحيد** «**بسنة عامة**» و هكذا هي في نسخ مسلم.

ففي بعض نسخ مسلم :((**بسنة بعامة**)). وفي بعض النسخ :((**بسنة عامة**))،و المعنى واحد.

والمقصود: أن لا يهلكهم الله بقحط عام يعم المسلمين جميعا و يبيد المسلمين جميعا ، **و قلت لكم يا إخوة إن الهلاك في القحط يكون**: بالجوع، و العطش، أو بهما معا.

لأن القحط يذهب معه الطعام و لذلك جاء في رواية عند ابن ماجة:((**بجوع عام**)).

و كذلك القحط معناه: فقد الماء فيصيب الناس العطش.

((**و أن لا يسلط عليهم عدوا**)):يعاديهم و يحاربهم و يتسلط عليهم بقوته.

((**من سوى أنفسهم**)): و قلت لكم إن النبي ﷺ قيّد بهذا القيد ,قيّد دعوته و لم يطلق لأنه سبق أن سأل الله لأمته أن لا يجعل بأسهم بينهم،فلم يعطه الله ذلك،فعلم النبي ﷺ أن بأس الأمة سيكون بينهم،فسأل الله أن لا يسلط عليهم عدوا كافرا.

((**فيستبيح**)):معطوف على((**و أن لا يسلط**)).

((**فيستبيح بيضتهم**)):أي جماعتهم،فالنبي ﷺ سأل ربنا سبحانه و تعالى أن لا يسلط علينا عدوا يبيد جميع الأمة.

((**و إن ربي قال يا محمد**)): و هذا دليل على أن ربنا سبحانه و تعالى يتكلم متى شاء بما شاء كلاما حقيقيا على ما يليق بجلال ربنا سبحانه و تعالى و أن كلام ربنا ليس محصورا في الكتب المنزلة و إنما الله يتكلم متى شاء كيف شاء سبحانه و تعالى و كلامه كما هو واضح بالأدلة وضوح الشمس بحرف و صوت.

((**و إن ربي قال يا محمد إني**)):

و هذه الزيادة موجودة في الصحيح،((**إني إذا قضيت قضاء**)):

و قلت لكم:معنى ((**قضيت قضاء**)): **أي حكمت حكما كونيا قدريا** فإنه لا يرد.

أما القضاء الشرعي:

فإنه قد يرد و لا يستجيب من طُلب منه ذلك كما بينت لكم و قلت لكم:إن القضاء القدري الكوني: إذا كان مطلقا فإنه لا يرد و سيقع هو واقع و لذلك العلماء يقولون:

القضاء الكوني القدري ملازم للوقوع. و القضاء الشرعي ملازم للمحبة.

أما إذا كان القضاء الكوني القدري مربوطا بسبب فإنه قد يرد و لذلك قلت لكم جاء عن النبي ﷺ أنه قال:((**لا يرد القضاء إلا الدعاء و لا يزيد في العمر إلا البر**))رواه ابن ماجة بإسناد حسنه الألباني.

فلا يرد القضاء إلا الدعاء، قال العلماء هذا القضاء المقيد بالدعاء فيكون في أيدي الملائكة: أن فلانا إن دعا لا ينزل به كذا و إن لم يدعوا ينزل به كذا، أو إن دعا يعطى كذا و إن لم يدعوا يحرم من كذا، فإن دعا وقع ما علق على الدعاء و إن لم يدع لم يقع، أو العكس اذا كان في باب المنع .

((**إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد و إني أعطيتك**)): طبعا ما مناسبة هذه الجملة للدعاء؟

المناسبة أن يتيقن المؤمنون أن ما في هذا الحديث واقع، لا يستطيع أحد و لا جماعات منعه ((**و إني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة**)) فاستجاب الله هذه الدعوة أن لا يهلك الأمة بقحط يعمها، و جاء في الحديث الآخر :((**أن لا يهلك الأمة بالغرق**)) أيضا، فالأمان العام وقع من هذا و هذا قضاء الله الكوني الذي سيقع يقينا، فنحن نقول بيقين إن هذه الأمة لن تباد بقحط عام و لا بجوع عام و لا بعطش عام و لا بغرق عام و هذا يدل يا إخوة أن بعضها قد يهلك بسبب هذا، قد يصيب بلدا من البلدان جوع فيموت الناس، قد يأتي يعني سيل أو شيء من البحر ،إعصار أو نحو ذلك، فتغرق مجموعة من المسلمين لأن هذا قيد ((**بسنة بعامة**)).

((**و أن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم**)): يعني من الكفار.

((**فيستبيح بيضتهم**)):يعني يبيد جماعتهم.

((**و لو اجتمع عليهم من بأقطارها**)): لو اجتمع عليهم من بنواحيها من الكفار و ساروا بجيش واحد،القوة العظمى الكافرة و القوة الصغرى الكافرة،لو اجتمعت في جيش واحد و قوة واحدة و سارت لتبيد المسلمين لن تستطيع،نعم قد تتغلب على بلد أو بعض البلدان،أما أن تتغلب على جميع المسلمين فلا،**و لاحظوا أن الأمان هنا من أمرين** :

١/ الأمر الأول: الإبادة و القضاء.

فالأمة مُؤمنة من أن يبيدها أعداءها الكفار.

٢/ و الأمر الثاني: التسلط و الحكم.

فالأمة مؤمنة من أن يسلط الكفار عليها تسلطا عاما شاملا.

قال:((**و لو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا**)):

أي أن بأسهم سيكون بينهم و يسبي بعضهم بعضا أي يأسر بعضهم بعضا من الرجال و يسبي بعضهم نساء بعض و هذا الأمر واقع من الخوارج عبر الأزمان، فإنهم من بغيهم و جهلهم عابوا على علي رضي الله عنه أنه قاتل و لم **يَسب**((**بكسر حرف الباء**)) و لم يغنم و هم عبر تاريخهم يستحلون أموال المسلمين و لذلك ترون المعاصرين منهم ،و إن تعجب فعجب قول بعض الناس إنه لا يوجد خوارج اليوم،إذا لم يوجد هؤلاء الخوارج في زماننا اليوم فلا خوارج، هؤلاء خوارج ومطعمون -بضم الميم و فتح الطاء- ببدع فوق بدع الخوارج هم أشر من الخوارج المتقدمين ،خوارج موجودون في العراق،موجودون في الشام،موجودون في ليبيا، موجودون في اليمن و لهم وجود في كثير من بلدان المسلمين و لا سيما الخوارج القعدة، كفانا الله شر الخوارج أجمعين.

و لا يلزم يا إخوة باتفاق العلماء أن يقول الخارج عن نفسه أنا خارجي و إلا ما وُصف أحد بأنه خارجي لأننا لا نعرف عبر التاريخ أن أحدا منهم قال أنا خارجي أو رضي بأن يوصف بأنه خارجي و لكن العبرة بالوصف و هذه قاعدة أهل السنة و الجماعة: المبتدع نصفه بأنه مبتدع و لو قال أنا من أهل السنة،ما رأيت يوما مبتدعا يقول أنا مبتدع أنا على خير،أنا على سنة ،أنا على هدى،فلا يلزم باتفاق العلماء أن يقولوا عن أنفسهم إنهم خوارج و إنما الواجب العدل و النظر في الصفات الشرعية و لذلك مثلا هؤلاء الذين يتسمون أو سموا ((بضم السين والميم))بداعش ،ما يتسمون((بفتح حرف السين)) بداعش ،سموا ((بضم السين و الميم))،و إلا فهم يتسمون زورا بالدولة الإسلامية في العراق و الشام، هذا أصل نحت